

لبنان والخيارات المطروحة لاسترجاع السيادة

ملخص محاضرة أُلقيت في "مركز الحوار" في واشنطن
نهار الأحد في 24 آب سنة 2003
ألقاها

الدكتور فيليب سالم

حاضر الدكتور فيليب سالم، مدير برنامج الأبحاث السرطانية في مستشفى سان لوقا في هيوستن، والكاتب المعروف بالقضايا العربية واللبنانية، وأحد أكثر المدافعين عن سيادة واستقلال لبنان، في "مركز الحوار" في واشنطن نهار الأحد في 24 آب سنة 2003، عن لبنان والخيارات المطروحة لاسترجاع السيادة. ومما قاله "إن لبنان اليوم يحتضر لعدم وجود قرار سياسي حر، ولأن الطائف أفرز طبقة من السياسيين الذين لا قدرة لهم على بناء الدولة. أدى هذا إلى شلل كلي ومطلق في الحكم، وإلى فساد في الإدارة والقضاء". وقال "أن لبنان قد يزول غداً إن لن نعمل اليوم بسرعة وبقوة على استرجاع سيادته". وقال "أن المناخ العالمي السياسي والحرب ضد الإرهاب هو الوقت المناسب لقيامه لبنان كنموذج للتعايش بين الطوائف والأديان ونموذج للحوار بين الحضارات المختلفة. إنه النموذج المثالي ضد الإرهاب والديكتاتورية والأصولية". إلا أنه يجب أن نتذكر دائماً أن هذا النموذج اللبناني هو نموذج مغاير لإسرائيل، وأن إسرائيل لا تريد على الإطلاق نموذجاً من هذا النوع على حدودها الشمالية. وهذه القضية كانت من أهم أسباب الحرب اللبنانية. وعن مرتكزات المطالبة بالسيادة شدد الدكتور سالم على أن المطالبة بالسيادة يجب أن لا تكون من منطلق طائفي أو منطلق ديني، بل من منطلق وطني. كذلك شدد على أن هذه المطالبة يجب أن لا تكون من منطلق العداة لسوريا. وبرأيه أن الذين يجب أن يطالبوا باسترجاع السيادة ليست الدولة اللبنانية بل المجتمع المدني في لبنان والانتشار اللبناني في العالم. لأنه من الساذجة أن يطلب اللبنانيون من الحكم المطالبة بالسيادة لأن ليس من مصلحة الحكم أن يسترجع لبنان سيادته. وعن الخيارات المطروحة لاسترجاع السيادة تكلم الدكتور سالم عن اتفاق الطائف، ومشروع قانون محاسبة سوريا واسترجاع سيادة لبنان، المطروح على الكونغرس الأميركي، وعن "خريطة الطريق"، وعن الشرعية الدولية. قال الدكتور سالم أن الطائف يفتقر إلى آلية للتنفيذ إذ أنه حسب اتفاق الطائف كل بند يتم تنفيذه بالاتفاق بين الحكومتين، الحكومة السورية والحكومة اللبنانية. فقال "نحن نعرف أن هناك في دمشق حكومة سورية

تتكلم باسم السوريين وفي بيروت حكومة أيضاً، إلا أن هذه الحكومة لا تتجرأ أن تتكلم باسم لبنان". "فعلى الأرض" وعملياً ليس هناك حكومتان بل حكومة واحدة هي الحكومة السورية". وعن مشروع قانون محاسبة سوريا واسترجاع سيادة لبنان، قال الدكتور سالم أن هذا المشروع هدفه الأساسي هو محاسبة سوريا وليس استرجاع سيادة لبنان. تكلم بقوة عن رفضه لهذا القانون المطروح على الكونغرس الأميركي اليوم لأن هذا المشروع حسب رؤيته له "علاقة وثيقة باليمين المتطرف في الكونغرس الأميركي والذي له علاقة وثيقة باللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة. ومن الخطأ الفادح قال الدكتور سالم أن يعتقد بعض اللبنانيين أن استرجاع السيادة في لبنان يمر بالتعاون مع الصهيونية العالمية أو إسرائيل. وعن "خريطة الطريق" قال الدكتور سالم أن هذا الحل الذي تطرحه اللجنة الرباعية الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية هو حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وليس معنى هذا الحل الأساس لحل القضايا التي تتعلق بلبنان وسوريا.

وطرح الدكتور سالم أن الحل في لبنان يجب أن يمر من خلال الشرعية الدولية لأن القضية اللبنانية هي نتيجة الصراع العربي الإسرائيلي وجذور هذه القضية تغوص بعمق في جميع جوانب هذا الصراع الإقليمية منها والدولية والإسرائيلية. وبالتالي فحل القضية اللبنانية لن يكون إلا من خلال حل هذا الصراع. وقال الدكتور سالم على أن الحل هو في تنفيذ جميع قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالشرق الأوسط بما فيها القرار 520 المتعلق بسيادة لبنان والصادر عن مجلس الأمن في 17 أيلول 1982. وشدد على أن أهمية هذا القرار هو أنه يدعو إلى "الاحترام الشديد لسيادة واستقلال وحرية لبنان" دون أن يكون موجهاً ضد سوريا. وهذا ما نهدف إليه. فهدفنا هو استرجاع سيادة لبنان وليس العداة أو الضرر لسوريا. نحن لا نريد أي أذى أو استفزاز أو تحدٍ أو ضرر أو محاسبة لسوريا، بل نحن نصر أن نبني أفضل العلاقات اليوم وغداً معها. إذ أن الأرض تجمعنا وتجمعنا كذلك السماء. وأكثر من ذلك كله يجمعنا المستقبل والتحدي الكبير وهو بناء نواة مجتمع عربي حضاري جديد. قال الدكتور سالم أن أكبر خطأ قد يقع فيه المطالبون بالسيادة هو العداة لسوريا أو الانتقام منها. كما قال أيضاً أن أكبر خطأ قد يقع فيه الحكم السوري هو العداة للبنانيين الذين يطالبون بالسيادة. إذ أن سيادة لبنان هي بالحقيقة قوة لسوريا وللعرب. إن المتضرر الوحيد من السيادة في لبنان هي الدولة الإسرائيلية. وتطرق الدكتور سالم إلى أهمية الإشراف الدولي الذي يفضل أن يكون أوروبياً وتحت مظلة الأمم المتحدة وذلك للتأكد من تنفيذ قرار 520 أو أي قرار آخر قد يتبناه مجلس الأمن بعد البحث في القضية اللبنانية وحتى لا تتمكن إسرائيل من زعزعة الأمن فور خروج القوات العسكرية من لبنان. وقال سالم أن الإشراف الدولي ضروري إذ أنه لا يتم تحرير لبنان عندما يتم تحريره من الجيوش فقط لأنه يبقى بعد ذلك التحرير الأهم،

وهو التحرير من العدو اللدود للبنان في الداخل، هذا العدو الذي هو أصل الداء بل هو السبب الرئيسي للحرب والسبب الرئيسي للانحدار الخلقي والسياسي والحضاري الذي وصل إليه لبنان. هذا العدو هو المدرسة السياسية التقليدية اللبنانية التي تؤمن بأن السياسة زعامة وأن الوطن مباح للمصالح الشخصية وأن الولاء لغير لبنان هو الوطنية. وقال أن تحرير لبنان من هذه المدرسة السياسية لهو أهم من تحرير أرضه من الجيوش الغربية إذ أنه إن حررنا الأرض ولم نحرر الإنسان ستعود الجيوش الغربية ثانية وتغتصب الأرض مرة أخرى. وعن أي لبنان نريد، قال سالم "نريد لبنان سيداً حراً مستقلاً وكذلك نريده عربياً من رأسه إلى أخمص قدميه" إلا أن هذه المرة لا نقبل به أن يكون ذيلاً للعروبة بل قائداً لها. وتحدث عن العروبة التي يتمناها. فقال "لا نريد عروبة تأخذ لبنان إلى الماضي بل نريد لبنان يأخذ العروبة إلى المستقبل. إنني أو من بكل قوة بعروبة حضارية وليس بعروبة سلفية، عروبة تؤمن بالعلم لا بالشعارات، بالمحبة لا بالحق، بالتواصل مع العالم لا بالتفوق في مستنقع الشرق. نريد عروبة تكون قسماً من حضارة العالم، عروبة قادرة على تقديم شيء ما إلى العالم. وختم قائلاً بأن الأشراف الدولي ينتهي بعد الانتهاء من انتخابات حرة نزيهة مبنية على قانون انتخابات عصري جديد يؤمن وصول طبقة من السياسيين الذين يؤمنون بقدسية الأرض ويكون ولاؤهم المطلق للبنان لا لغيره، سياسيون قادرين أن يضعوا مصلحة الوطن قبل مصالحهم الشخصية، سياسيون قادرين أن يأخذوا لبنان إلى القرن 21 لا أن يرجعوا به إلى القرن 16.